دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أنماط الجملة الإعرابية في القرآن الكريم دراسة في التركيب النحوي لسورة النساء
المؤلف الرئيسي:	حسين، دفع االله حمد االله
مؤلفين آخرين:	بابكر، أحمد خالد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2002
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 451
رقم MD:	662489
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
الكلية:	كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم، إعراب القرآن، النحو العربي، التراكيب النحوية، السور و الآيات
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/662489

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفصل الرّابع
الجملـــة الإنشائيّـــــة

محتويات الفصل الرّابع (١٧٥ - ٢١٦)

- توطئة
- المبحث الأوّل: الجملة الإنشائيّة الطّلبيّة
  - المطلب الأوّل: جملة الاستفهام
  - المطلب الثّاني: جملة الأمر
  - المطلب الثّالث: جملة العرض والتّحضيض
  - المطلب الرّابع: جملة النّداء
  - المطلب الخامس: جملة النّهي
  - المطلب السّادس: جملة التّمنّي
- المبحث الثّاني: الجملة الإنشائيّة غير الطّلبيّة
  - المطلب الأوّل: جملة التّعجّب
  - المطلب الثّاني: جملة المدح والذّمّ
  - المطلب الثّالث: جملة القسم

تمهيـــــدة

تناول الباحث في الفصل الثّالث الجملة الفعليّة، حيث جاء فيه: الجملـــة الفعليّة ذات الفعل اللاّزم، والجملة الفعليّة ذات الفعل المتعدّي، والجملة الفعليّة ذات الفعل المبني للمجهول، ثمّ تطرّق إلى كثير من المسائل النّحويّـــة الّتـــي تكاملت بها صورة هذه الجملة.

وفي هذا الفصل، وهو الرّابع، سيستفيد الباحث ممّا تقدّم؛ ليتمّ تناول الجملة الإنشائيّة، وذلك من خلال مبحثين اثنين:

- المبحث الأول: الجملة الإنشائيّة الطّلبيّة.
- المبحث الثّاني: الجملة الإنشائية غير الطّلبيّة

وكلّ جملة ممّا سبق لها تفريعاتها الّتي توفّرت في سورة النّساء.

- ففي الجملة الإنشائيّة الطّلبيّة، سيتعرّض الباحث إلى:

١/ جملة الاستفهام.

٢/ جملة الأمر.

٣/ جملة العرض والتّحضيض.

٤/ جملة النّداء.

٥/ جملة النّهي.

٦/ جملة التّمنّي.

- وفي الجملة الإنشائيّة غير الطّلبيّة. سيتمّ عرض كلّ من:

١/ جملة التّعجّب.

٢/ جملة المدح والذّمّ.

٣/ جملة القسم.

المبحث الأول

الجملة الإنشائية الطلبية

يقدّم الباحث في هذا المبحث معالجة لستّ من الجمل المنضوية تحت الجملة الإنشائيّة الطّلبيّة، وهي: جملة الاستفهام، والأمر، والعرض والتّحضيض، والنّداء، والنّهي والتّمنّي.

ويأتي بعد ذلك نظر هذه الجمل في السّياق النّحويّ لسورة النّساء، مع حساب نسبة تردّد هذه الجمل في السّورة وكلّ هذه المعالجة تتمّ على النّحو الآتي:

◎ المطلب الأوّل: جملة الاستفهام:

عرّف الاستفهام بأنّه: "طلب معرفة شيء مجهول"(١). وقد تردّدت في مظانّ اللّغة مصطلحات أخرى تفيد معنى الاستفهام كالاستخبار والاستعلام(٢).

وهناك فرق بين الاستفهام وغيره من أنواع الإنشاء الطّلبيّ؛ حيث يرى صاحب (مفتاح العلوم) (٣) أنّك في "الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج مطابق"(٤).

---

(١) **الصّاحبيّ في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها**، أحمد بن فارس، المكتبة اللّغويّة العربيّة، بيروت، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م: ٩٢٢، وانظر **شرح المفصّل**: ١٥٠/٨، **الأشباه والنّظائر**: ٥٦/٤

(٢) انظر **شرح المفصّل**: ١٥٠/٨

(٣) هو يوسف السّكّاكيّ أبو يعقوب العلّامة، كان بارعًا في البيان والمعاني، له كتابه مفتاح العلوم، توفّي بخوارزم عام ٦٢٦هـ. انظر ترجمته في: **بغية الوعاة**: ٣٦٤/٢

(٤) **مفتاح العلوم**، مطبعة التّقدّم العلميّة، مصر، ١٣٤٨هـ: ١٣٢

وللاستفهام أدوات يستفهم بها، إذ ذكر عددها الإمام السّكّاكيّ، وهي عنده كلمات موضوعة، مثل "الهمزة وأم وهل وما ومن وأي وكم وكيف وأين وأنّى ومتى وأيّان بفتح الهمزة وكسرها[١].

وأدوات الاستفهام هذه: حروف وأسماء فالحروف هي: (الهمزة) و (هل)، والبقية أسماء. هذا عند أكثر النّحاة. وقد أضاف المبرّد وابن جنّي وابن باشاذ[٢] والسّكّاكيّ وابن يعيش إلى حرفي الاستفهام حرفاً ثالثاً هو (أم)[٣].

ومن حيث المعنى؛ فإنّ الاستفهام يكون حقيقيّاً، وقد يخرج من مقتضى معناه الأصليّ إلى معاني أخرى تستفاد من السّياق.

قال أبو حيّان: الاستفهام على ضروب: طلب المعرفة وهو الاستفهام الّذي لا يشوبه شيء، واستفهام على طريق التّسوية، نحو: سواء عليّ أقمت أم قعدت- واستفهام على سبيل التّقرير، نحو: أَلَمْ أُحسن إليك، ولا يكون إلّا بالهمزة، واستفهام على سبيل الإنكار[٤].

هذا، ولم ترد أدوات الاستفهام كلّها في سورة النّساء، وإنّما ورد منها: (الهمزة) و (ما) و (ماذا) و (من).

وسوف يتناول الباحث هذه الأدوات بالتّرتيب ذاته.

---

(١) **المقتضب**: ٢٨٩/٣، **واللمع في العربية**: ٣١٣، **مفتاح العلوم**: ١٢٣، **التلخيص**: ١٥٣

(٢) هو طاهر بن أحمد بن باشاذ النّحويّ أبو الحسن البصريّ، وأصله من العراق. و (بابشاذ) كلمة أعجميّة تعني الفرح والسّرور. كان يتولّى تحرير الكتب الصّادرة عن ديوان الإنشاء في الدّولة المصريّة. له مصنّفات جيّدة أهمّها شروحه الثّلاثة على الجمل. توفّي سنة ٤٦٩هـ- ١٠٧٦م. انظر: **إنباه الرواه**: ٩٥/٢، **بغية الوعاة**: ١٧/٢، **معجم المؤلّفين**: ٣٢/٥، **وفيّات الأعيان**: ٤٩٤/١، **نزهة الألباء**: ٤٣٢

(٣) انظر **المقتضب**: ٢٨٩/٣، **مفتاح العلوم**: ١٤٦، **شرح المفصّل**: ١٥٠/٨

(٤) انظر **ارتشاف الضّرب من لسان العرب**، أبو حيّان الأندلسيّ، تحقيق مصطفى أحمد النّمّاس: ٣٢٧/١

- **(١) الاستفهام بالهمزة:**

جاء الاستفهام بالهمزة في التّركيب النّحويّ لسورة النّساء على الصّور الآتية:

أ/ الهمزة + فعل مضارع ب/ الهمزة + أداة نفي + فعل ماض

ج/ الهمزة + أداة نفي + فعل مضارع

وقد ورد ذلك في عشرة مواضع من السّورة، يورد الباحث منها ما جاء في قوله تعالى:

- ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾(١).
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ (٢).
- ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ (٣).
- ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ (٤).
- ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (٥).

- **(٢) الاستفهام بـ (ما):**

هي عند سيبويه من أدوات الاستفهام، ويقول عن حدّ الاستفهام ما نصّه: "وعلى هذا الحدّ، يجري ما ومتى وكم وأين"(٦).

ويقع كثيراً حذف الألف من (ما) إذا جاءت مسبوقة بحرف جرّ. فقد استحسن سيبويه ذلك؛ إذ يقول: "وأمّا قولهم: علامهْ، وفيمهْ، بمهْ وصامهْ، فالهاء في هذه الحروف أجود إذا وقفت لأنّك حذفت الألف من (ما) فصار آخره كآخر ارمهْ واغزهْ"(٧).

---

(١) سورة النّساء: الآية (٢٠)

(٢) سورة النّساء: الآية (٤٤)

(٣) سورة النّساء: الآية (٨٨)

(٤) سورة النّساء: الآية (٩٧)

(٥) سورة النّساء: الآية (١٤٤)

(٦) الكتاب: ١٧٥/٣

(٧) المصدر نفسه: ١٦٤/٤

وأمّا عن دلالة (ما)؛ فيقول المبرّد: "فأمّا (ما) فتكون لذوات غير الآدميّين، ولنعوت الآدميّين، إذا قال: ما عندك؟ قلت: فرس أو بعير أو متاع أو نحو ذلك، ولا يكون جوابه زيد ولا عمرو، ولكن يجوز أن يقول: ما زيد تقول: طويل أو قصير أو عاقل أو جاهل"(١).

وقد وردت (ما) الاستفهاميّة في ستّة مواضع من سورة النّساء؛ حيث وردت مع حرف الجرّ، ووردت متجرّدة منه. وممّا في السّورة يذكر الباحث ما جاء في قوله تعالى:

- ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ (٢).
- ﴿فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ (٣).
- ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ (٤).
- ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (٥).

ونلحظ في الآية الأخيرة أنّ (لام) الجرّ قد انفصلت عن المجرور بها (هؤلاء)، وهذا ما تتميّز به لغة القرآن الكريم عن غيرها، فيما يتعلق بالرّسم الإملائيّ.

- **(٣) الاستفهام بـ (ماذا):**

الحديث عن الأداة (ماذا) ينبغي أن يكون على صعيد واحد مع (ما)؛ لأنّ النّحاة قد جعلوهما الاثنين في حكم واحد(٦)، من حيث

---

(١) المقتضب: ٢٩٦/٢، انظر حروف المعاني: ٥٣، اللّمع: ٣١٣، المغنى: ٣٣٠

(٢) سورة النّساء: الآية (٨٨)

(٣) سورة النّساء: الآية (٩٧)

(٤) سورة النّساء: الآية (١٤٧)

(٥) سورة النّساء: الآية (٧٨)

(٦) انظر المقتضب: ٢٩٦/٢، اللّمع: ٣١٣

الدّلالة. وقد فصل ابن هشام في أحوال (ماذا)؛ وهي عنده ثلاثة أوجه[١]:

- الوجه الأوّل: أن تكون (ما) استفهاميّة و (ذا) إشارة، كما في قول الشّاعر[٢]:

مَاذَا الْوُقُوف عَلَى نَارٍ وَقَد خَمدتْ
يَا طَالَمَا أُوقِدَتْ فِي الْحَرْبِ نيرَانُ

- الوجه الثّاني: أن تكون (ما) استفهاميّة و (ذا) موصولة؛ وذلك مثل قول لبيد[٣]:

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ
أَنَحبٌ فَيُقْضَى أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلُ

- الوجه الثّالث: أن تكون (ماذا) كلّها استفهامًا، كقولك لماذا حضرت؟ ومنه قول الشاعر[٤]:

يَا خرزَ تَغْلِبَ مَاذَا بَالُ نِسوتِكُمْ
لَا يَسْتَفِقْنَ إِلَى الدّيرينِ تَحْنَانَا

ويرى ابن هشام أنّ الوجه الثّالث في (ماذا)؛ هو أرجح من الوجهين الآخرين في قوله تعالى: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾[٥]، بالنّصب، وتقديره: أي ينفقون العفو[٦].

وقد وردت (ماذا) في التّركيب النّحويّ للسّورة في موضع واحد، جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾[٧].

---

(١) مغنى اللّبيب: ٢٩٦-٢٩٨
(٢) شواهد المغنى: ٧١١/٢
(٣) ديوان لبيد: ٢٥٤
(٤) ديوان جرير: ٥٩٨/١
(٥) سورة البقرة: الآية (٢١٩)
(٦) انظر مغنى اللّبيب: ٣٣٢
(٧) سورة النّساء: الآية (٣٩)

وتعدّ الأداة (ماذا) من أقلّ الأدوات شيوعاً في سورة النّساء.

- **(٤) الاستفهام بـ (منْ):**

تأتي (مَنْ) في التّرتيب الثّاني بعد (ماذا) من حيث القلّة. وفي دلالتها يقول سيبويه: "وهي للمسألة عن الأناسيّ، ويكون بها الجزاء للأناسيّ، ويكون بمنزلة الّذي للأناسيّ، وقد بيّن ذلك في موضعه"(١).

ويقول عن أحوالها إنّه: "إذا اجتمع بعد حروف الاستفهام نحو هل وكيف ومَنْ اسم وفعل، كان الفعل بأن يلي حرف الاستفهام أَوْلَى، لأنّها عندهم في الأصل من الحروف الّتي يذكر بعدها الفعل"(٢).

وردت (مَنْ) في السّورة مبتدأ، وقد وَلِيَهَا جملة فعليّة، كما وردت بعد (أم). ووردت كذلك مبتدأ ووقع بعدها اسم تفضيل. وذلك في قوله تعالى:

- ﴿فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ﴾ (٣).
- ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (٤).
- ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (٥).

o المطلب الثّاني: جملة الأمر:

الأمر هو طلب ما لم يحصل أو دوام ما حصل(٦). هذا ما ذهب إليه السّيوطيّ في (الهمع). وقد يدلّ الأمر على المستقبل.

---

(١) **الكتاب:** ٢٢٨/٤

(٢) **المصدر نفسه:** ١١٥/٣، وانظر **حروف المعاني:** ٥٥، **اللّمع في العربيّة:** ٣١٤

(٣) سورة النّساء: الآية (١٠٩)

(٤) سورة النّساء: الآية (١٠٩)

(٥) سورة النّساء: الآية (١٢٢)

(٦) انظر **همع الهوامع:** ٧/١

فقد جعل سيبويه صيغة الأمر دالّة على الّذي "لم يقع.. قولك آمراً: اذهب"[١]. وهذه الدّلالة تستفاد أيضاً من قول السّيوطيّ عن الأمر: "وهو لازم الاستقبال"[٢].

وذهب عبّاس حسن في (النّحو الوافي) إلى أن "زمان الأمر مستقبل في أكثر حالاته"[٣]، وهو ذات الرّأي الّذي قال به إبراهيم أنيس "أنّنا نلمح فيه غالباً المستقبل"[٤]، يشير إلى الأمر.

أمّا السّكّاكيّ؛ فقد تحدّث عن الأمر بقوله: "والأمر والنّهي حقّهما الفور والتّراخي لكونهما للطّلب ولكون الطّلب في استدعاء تعجيل المطلوب أظهر منه في عدم الاستدعاء له"[٥].

وفي (التّلخيص) يذهب البرقوقيّ[٦] إلى أنّ "الفور والتّراخي مفوّضان إلى القرينة. وهذا ما نجده عند تمّام حسّان؛ حيث اعتمد مبدأ القرينة هذا، فوزّع بمقتضاه الأمر على الحاضر والمستقبل: "افعل الآن، افعل غداً"[٧].

ويكاد وصف الأمر يتشابه عند النّحاة وأهل البلاغة جميعهم؛ حتّى إذا ما انتهينا إلى الإمام الزّمخشريّ؛ نجده قد وصف الأمر وصفاً دقيقاً إذ يقول: "وهو الّذي على طريقة المضارع للفاعل المخاطب لا تُخَالِفْ بصيغته صيغتَه إلّا أن تنزع الزّائدة فتقول في تضع ضع وفي تضارب ضارب وفي تدحرج دحرج ونحوها ممّا أوّله متحرّك، فإن سكن زِدْتَ همزة وصل لئلّا يبتدأ بالسّاكن فتقول في تضرب اضرب وفي تنطلق وتستخرج انطلق واستخرج[٨].

---

(١) الكتاب: ١٢/١

(٢) همع الهوامع ٧/١

(٣) النّحو الوافي: ٦٥/١

(٤) من أسرار اللّغة: ١٧٥

(٥) مفتاح العلوم: ٣٢٠

(٦) انظر التّلخيص: ١٧٠

(٧) اللّغة العربيّة معناها ومبناها: ٢٥١، التّلخيص: ١٧٠،

(٨) المفصّل: ٢٥٦

ولعلّ الزّمخشريّ بهذا قد بيّن الطّريقة الّتي يكون بها الأمر، وهذا ما أبانه ابن يعيش في شرحه للمفصّل، قال: "إنّ الأمر معناه طلب الفعل بصيغة مخصوصة"(١). وهذه الصّيغة المخصوصة، هي الّتي اشتهر بها الأمر على أنّه طلب الفعل على جهة الاستعلاء(٢). لذا نجد الذّهن ينصرف إلى معنى الأمر عند سماع صيغته؛ في حين يتوقّف "ماسواه من الدّعاء والالتماس والنّدب والإباحة والتّهديد على اعتبار القرائن"(٣).

والأمر؛ كالاستفهام -تماماً- قد يخرج من معناه الحقيقيّ الّذي وضع له؛ فيفيد معاني كثيرة، ذكر منها السّكاكيّ: الدّعاء والالتماس والنّدب والإباحة والتّهديد(٤)، واستمرّ الأمر يعطى هذه المعاني، إلى جانب معناه الحقيقي؛ حتّى جاء القزويني(٥)، فأضاف إلى معانيه هذه، التّعجيز، والإهانة، والتّسوية، والتّمنّي(٦).

ويتأتّى الأمر بصيغ أطّردت عند النّحاة، وهي فعل الأمر، والمضارع المقترن بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النّائب عن فعله.

وإلى جانب ما ذكر الباحث؛ فإنّ الأمر قد يكون بغير هذه الّتي ذكرنا؛ مثل:

- ١/ الأمر بألفاظ مسموعة تفيد معنى الأمر: من هذه الألفاظ أو الأصوات: (كِخْ كِخْ) كلمة تقال ليُزجَر بها الصّبيان عن الأكل أو القرب من المستقذرات. و(إخْ إخْ) كلمة تقال لزجر البعير ليبرك. وقد وردت مثل هذه الكلمات في الحديث النّبويّ الشّريف.

---

(١) **شرح المفصّل**: ٥٨/٧

(٢) انظر **مفتاح العلوم**: ١٣٧، **الإيضاح في علوم البلاغة**: ١٤٣، الخطيب القزوينيّ، شرح وتعليق د. محمّد عبد المنعم خفاجي، ط٥، ١٩٨٠م: ١٤٣، **الأمالي الشجرية**: ٢٦٨/١

(٣) **مفتاح العلوم**: ١٣٧، **التّلخيص**: ١٦٩

(٤) انظر **مفتاح العلوم**: ١٣٧

(٥) انظر **المصدر نفسه**: ١٣٧

(٦) انظر **التّلخيص**: ١٦٩

وفي (فتح الباري) و (صحيح مسلم) نقرأ: "**أخذ الحسين بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصّدقة، فجعلها في فيه. فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: كِخْ كِخْ ليطرحها- ثمّ قال: أما شعرتِ أنّا لا نأكل الصّدقة**"(١).

جاء في (صحيح مسلم) قوله: "**فلقِيتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه، فدعاني، ثمّ قال: إخْ إخْ، ليحملني خلفه**... "(٢).

- ٢/ الأمر بفعل محذوف: وإنّما يكون ذلك إذا دلّ عليه السّياق ويدخل هذا الضّرب من الأمر باب الإغراء والتّحذير(٣). نحو قولنا: دونك الكتاب، أو حتّى قولنا: الكتاب. وقولنا: يدك والمراد.
- ٣/ وقد يكون الأمر بالمصدر غير المتّفق مع فعله في اللّفظ، مثل: ويحْ) و (ويْب) و (ويْل) وممّا ورد في هذا الضّرب، قوله صلّى الله عليه وسلّم:
  - "**ويحك، إنّ شأن الهجرة لشديد**"(٤).
  - "**ويلك ومَنْ يعدل إنْ لم أعدل**"(٥).

ويرى الباحث أنّ الأمر قد أدّى معناه على هذا النّحو، ممّا يؤكّد أنّ معنى الأمر قد يكون بغير تلك الصّيغ الموضوعة له أصلاً.

مما تقدم؛ يشير الباحث إلى أنّ الأمر قد كان له حضور في سورة النّساء، وقد جاء ذلك بصيغتين هما:

---

(١) فتح الباري: ٣٥٤/٣، صحيح مسلم: ٧٥١/٢

(٢) صحيح مسلم: ١٧١٦/٤

(٣) انظر جامع الدّروس العربيّة: ١٣/٣-١٥

(٤) فتح الباري: ٦١٧/٦، وصحيح مسلم: ٧٤٤/٢

(٥) فتح الباري: ٢٦٧/١، صحيح مسلم: ٢١٣/١

- (أ) الأمر بفعل الأمر
- (ب) الأمر بلام الأمر

وأضيفت لهما ثالثة وهي الأمـــر بفعـــل محـــذوف.

وسوف يرد توضيح ذلك فيما يلي:

- **(أ) الأمر بفعل الأمر:**

هذه الصّيغة هي الأشهر، والأكثر انتشاراً في سورة النّســـاء. وفعـــل الأمر لا يؤمر به إلا المخاطب: مفرداً كان أو جمعاً[١].

وقد جاءت هذه الصّيغة في ثلاثة وسبعين موضعاً من سورة النّســـاء، على أنماط مختلفة؛ يذكر منها الباحث ما يلي:

- **النّمط الأوّل: الفعل (أمر) + الفاعل (ضمير) + مفعـــول بـــه (أول) + مفعول به (ثان):**

وممّا جاء في ذلك، قوله تعالى:

- ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٢].
- ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾[٣].

- **النّمط الثّاني: فعل (أمر) + فاعل (ضمير) + مفعول به:**

وتحقّق ذلك في قوله تعالى:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٤].
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[٥].

---

(١) انظر شرح المفصّل: ٤٩/٧، وانظر قطر النّدى: ٣٩

(٢) سورة النّساء: الآية (٢٥)

(٣) سورة النّساء: الآية (٣٣)

(٤) سورة النّساء: الآية (٥٩)

(٥) سورة النّساء: الآية (٧٧)

- **النّمط الثّالث: فعل (أمر) + فاعل (ضمير) + جار ومجرور:**

من ذلك قوله تعالى:

- ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (١).
- ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ (٢).

- **(ب) الأمر بلام الأمر:**

يكون هذا مع الفعل المضارع؛ حيث يجزم بعدها، على "أنواع حالات الجزم، وتدخل على المبني للمفعول، فتلزم معه على اختلاف أنواع المتكلّم والمخاطب والغائب"(٣). نحو قولك: (لأكرم، ولتكرم، وليكرم).

ويجوز أن تدخل هذه اللّام على المتكلّم وحده أو مع غيره، لوروده من كلام العرب. فتقول: ليقم زيد، وليخرج عمرو. وفي القرآن الكريم نلحظ مثل ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ (٤) وممّا يندرج تحت اللام للمتكلّم وحده أو مع غيره، قولك: لأقم ولتقم.

ويشير الباحث إلى أنّها -على هذا المثال- تدخل على الفعل الأمر المخاطب(٥). وتكون حركتها بكسر لضرورة الابتداء، وتسكن تلو واو وفاء وثمّ"(٦).

ولا يجوز لنا حذف لام الأمر هذه مع الفعل المعتل، نحو: فلتمضِ، فلتدنُ، فلتسعَ. "إذ لا يحذف حرفان، أحدهما يوجب علة تكون أصلاً في

---

(١) سورة النّساء: الآية (٨١)

(٢) سورة النّساء: الآية (٨٤)

(٣) **رصف المباني:** ٣٠٢

(٤) سورة الطّلاق: الآية (٧)

(٥) انظر **الكتاب:** ٥٠٩/٣، **المقتضب:** ١٣/٣

(٦) انظر **همع الهوامع:** ٣٠٧/٤

الشّيء"[١]. وفي ذات الوقت تحذف اللّام، والّتي دخلت على الفعل المضارع لمقتضى، هو وقوع الأمر، ولا يتصوّر ذلك -مع المضارع- بدونها. فإن وقع حذف من هذا القبيل؛ فلا يجوز إلّا في الضّرورة. كقوله متمّم بن نويرة[٢]:

عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ البُعُوضَةِ فَاخْمِشِي
لَكِ الوَيْلُ حُرَّ الوَجْهُ أَوْ يَبْكِ مَنْ بَكَى[٣]

جاء الأمر بلام الأمر بقلّة في التّركيب النّحويّ للسّورة، إذا ما قورن بفعل الأمر، ولم يتجاوز أحد عشر موضعًا. وكان ذلك في أنماط منها.

---

(١) رصف المباني: ٣٠٣

(٢) هو متمّم بن نويرة، من بني ثعلبة، يكنى أبا نهشل، كان مجوّدًا للشّعر، رثى أخاه مالكًا. انظر: **طبقات فحول الشعراء**: ٢٠٤/١، **الشّعر والشّعراء**: ٢١٤

(٣) انظر **الكتاب**: ٤٠٩/١، **أمالي ابن الشّجريّ**: ٢٧٥/١، **الإنصاف**: ٥٣٢، **الخزانة**: ٦٢٩/٣، **شواهد المغني**: ٥٩٩، **شرح المفصّل**: ٦٠/٧. البعوضة: اسم مكان

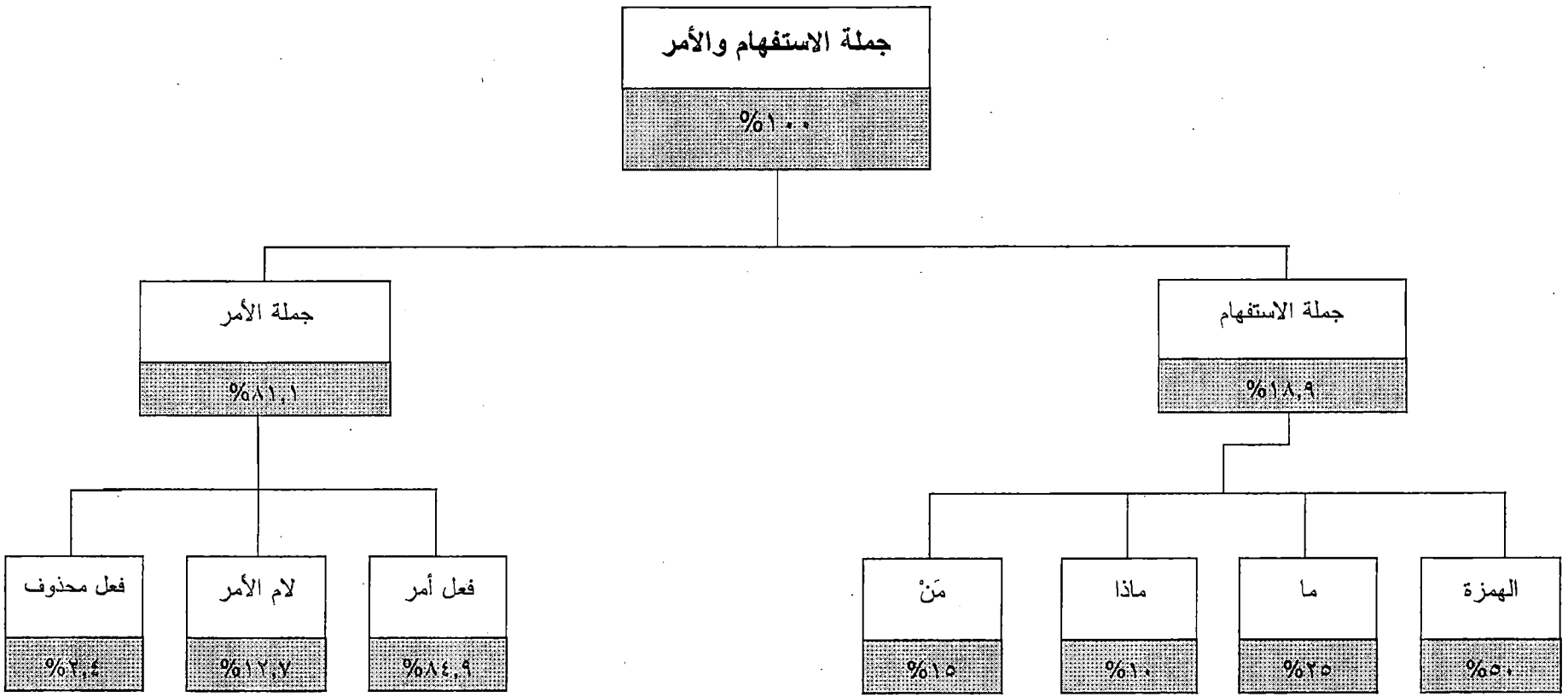

مصـــــــــوّر تخطيـــــــطيّ رقـــــــم (١١) تـــردّد جملة الاستفهام والأمر في سورة النّساء

- **النّمط الأوّل: لام (الأمر) + فعل (مضارع) + فاعل (ضمير) + مفعول:**

ومن هذا النّمط قوله تعالى:

- ﴿وليقولوا قولاً سديداً﴾ (١).

- ﴿وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم﴾ (٢)

- **النّمط الثّاني: لام (الأمر) + فعل (مضارع) + فاعل (ظاهر):**

جاء من هذا النّمط قوله تعالى:

- ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً﴾ (٣).

- ﴿ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك﴾ (٤).

- **(ج) الأمر بفعل محذوف:**

وهذه صيغة يأتي عليها الأمر. حيث يحذف فعل الأمر، ويبقى المأمور به دالاً عليه. وممّا ورد على شاكلة هذا. قوله تعالى:

- ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا ... فواحدة﴾ (٥).

وإذا قدّرنا الفعل المحذوف (انكحوا) -في غير القرآن- لاتّصلت به (فاء) فصارت (فانكحوا واحدة).

- ﴿أو ... ما ملكت أيمانكم﴾ (٦).

---

(١) سورة النّساء: الآية (٩)

(٢) سورة النّساء: الآية (١٠٢)

(٣) سورة النّساء: الآية (٩)

(٤) سورة النّساء: الآية (١٠٢)

(٥) سورة النّساء: الآية (٣). والنّقاط الثّلاث... وضعها الباحث للدّلالة على مكان فعل الأمر المحذوف.

(٦) سورة النّساء: الآية (٣). النقاط بين (أو) و (ما ملكت) للدّلالة على مكان فعل الأمر المحذوف.

إذ التّقدير -في غير القرآن- (أو انكحوا ما ملكت أيمانكم).
ولم يصرّح الحقّ تبارك وتعالى بالفعل لتتابع السّياق في الأمر ذاته، وقد سبق أن صرح بالفعل (فانكحوا) في أوّل الآية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (١).

o المطلب الثّالث: جملة العرض والتّحضيض:

العرض والتّحضيض معناهما طلب الشّيء، "لكنّ العرض طلب بِلِين، والتّحضيض طلب بِحَثٍّ"(٢). ويبدو الفرق بينهما "أنك في العرض تعرض عليه الشّيء، لينظر فيه. وفي التّحضيض تقول: الأَوْلَى لك أن تفعل فلا يفوتنّك"(٣).

ولجملة العرض والتّحضيض أدوات تقوم بها. قال سيبويه: "ومثل ذلك هلا ولولا، وألا، ألزموهنّ لا وجعلوا كلّ واحدة مع "لا" بمنزلة حرف واحد، وأخلصوهنّ للفعل حيث دخل فيهن معنى التّحضيض(٤).

أمّا السّيوطيّ، فيقول: وقد تفيده - أيّ التّحضيض - لو وألا بالتّخفيف"(٥).

وقد استخدمت في السّورة الأداتان: (ألا) و (لولا)، وبيان ذلك على النّحو الآتي:

---

(١) سورة النساء: الآية (٣)
(٢) مغنى اللبيب: ٧٢/١
(٣) الجنى الداني: ٣٨٢-٣٨٣
(٤) الكتاب: ١١٥/٣
(٥) همع الهوامع: ٣٥٣/٤

- **العرض بـ (ألا):**

تفيد (ألا) العرض، وهي مختصّة بالأفعال. قال المراديّ[١]: "وإن وليها اسم فعلى إضمار فعل"[٢] ومثّل لذلك بقول الشاعر[٣]:

أَلَا رَجُلاً، جَزَاهُ اللهُ خَيْرَاً
يَدُلُّ عَلَى مَحَصَّلَةٍ تَبِيتُ

دلّت (ألا) على العرض في السّياق النّحويّ للسّورة؛ لكنّها لم ترد إلّا في موضع واحد على النّمط الآتي:

ألا + الفعل + الفاعل (ضمير) + المفعول:

حيث جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[٤].

- **التّحضيض بـ (لولا):**

تكون (لولا) للتّحضيض والعرض وتختصّ بالمضارع، أو ما في تأويله[٥]. هذا عند ابن هشام؛ وقد ورد ذكره في المغنى.

أمّا المالقيّ؛ فقد قال بجواز "دخولها على الماضي بمعنى المضارع، فنقول: لولا قمت، ولولا قعدت. وفيها معنى التّوبيخ"[٦]. قال تعالى:

---

(١) هو بدر الدين، الحسن بن قاسم المراديّ. توفّى سنة ٧٤٩هـ. له مصنّفات منها: الجنى الدّاني **بغية الوعاة:** ٥١٧/١، **كشف الظّنون:** ٥٣

(٢) **الجنى الدّاني:** ٣٨٣

(٣) البيت لعمرو بن قعاس المراديّ. انظر **الكتاب:** ٣٥٩/١، **شرح المفصّل:** ١٠١/٢، **شرح الأشمونيّ:** ١٦/٢، **الخزانة:** ٤٥٩/١، **الهمع:** ٥٨/١ . والمحصلة: هي المرأة الّتي تحصّل الذّهب وتميّزه عن الفضّة

(٤) سورة النّساء: الآية (٨٢)

(٥) انظر **مغنى اللّبيب:** ٣٠٣/١

(٦) **رصف المباني:** ٣٦١

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ (١). وقوله جل وعلا: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ (٢).

وتفيد (لولا) معنى التّنديم أيضًا، يقول السّكّاكيّ: "فإذا قيل: هلّا أكرمت زيدًا، أو ألا بقلب الهاء همزة أو لولا أو لوما فكأنّ لينك أكرمت زيدًا، متولّدًا منه معنى التّنديم.

وقد ألفى الباحث هذا الرّأي عند ابن هشام، وهو يعدّد وجوه (لولا)؛ إذ يقول "والثّالث أن تكون للتّوبيخ والتّنديم فتختصّ بالماضي"(٣).

ولا تلي (لولا) إلّا الأفعال ظاهرة، كما مضى التّمثيل لها، أو مضمرة. وهذه الحالة تقدّر بحسب دلالة الكلام عليها. كما في قول جرير(٤):

تَعُدّونَ عَقْرَ النّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ
بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الكَمِيَّ المُقَنَّعَا

والتّقدير: لولا تبارزون الكميّ أو تغلبون أو تقتلون أو نحو ذلك.

وردت (لولا) في سورة النّساء في ثلاثة مواضع، وتراوحت في دلالتها بين التّحضيض والتّنديم (التّوبيخ). جاء ذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا﴾ (٥).
- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ (٦).
- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ﴾ (٧).

---

(١) سورة الأحقاف: الآية (٢٨)

(٢) سورة التّوبة: (١٢٢)

(٣) مغنى اللّبيب: ٣٠٣/١

(٤) انظر ديوانه: ٩٠٧/٢، أمالي ابن الشّجري: ٧٩/١، ونسبه في:٢١/٢ إلى الأشهب بن رميلة، وأسرار العربية: ٢٠٥، وشرح المفصّل: ٣٨/٢، والخصائص: ٤٥/٢، والمغني: ٣٠٤، ابن عقيل: ١٢١/٤، الخزانة: ٥٥/٣، الأشمونيّ: ٦١٠، شواهد المغنى: ٦٦٩. والنّيب: الفوق المسنّة، وضوطرى: حمقاء

(٥) سورة النّساء: الآية (٧٧)

(٦) سورة النّساء: الآية (٨٣)

(٧) سورة النّساء: الآية (١١٣)

o المطلب الرّابع: جملة النّداء:

النّداء هو تنبيه المخاطب وحمله على الالتفات والاستجابة[١]. وهو عند سيبويه: "كلّ اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره، والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب".

ويرى الباحث أنّ سيبويه قد تجاوز تعريف المنادى؛ فتحدّث عن أنواع المنادى، وحكم كلّ نوع. وما دمنا بصدد ذلك، فليكن لحديث الخليل[٢] (رحمه الله) مجالاً عندنا؛ فقد أورد عنه سيبويه: "أنّهم نصبوا المضاف نحو يا عبد الله ويا أخانا، والنّكرة حين قالوا: يا رجلاً صالحًا حين طال الكلام، كما نصبوا: هو قبلك وهو بعدك. ورفعوا المفرد كما قبل وبعد وموضعهما واحد. وذلك قولك يا زيد ويا عمرو، وتركوا التّنوين في المفرد كما تركوه في قبل"[٣].

أمّا أدوات النّداء وأحوال استعمالها، فقد قال عنها سيبويه: "فأمّا الاسم غير المندوب فينبّه بخمسة أشياء بيا، وأيا، وهيا، وأيّ، وبالألف، نحو قولك: أحار بن عمرو. إلّا أنّ الأربعة غير الألف قد يستعملونها إذا أرادوا أن يميّزوا أصواتهم للشّيء المتراخي عنهم، والإنسان المعرض عنهم، الّذين يرون أنّه لا يقبل عليهم إلّا بالاجتهاد أو النّائم المستثقل"[٤].

هذا، وقد ورد النّداء في السّياق النّحويّ للسّورة، على حال اقتضاها السّياق ومقام المنادى. وجاء النّداء باستخدام الأداة وبغيرها. وبيان ذلك على النّحو الآتي:

---

(١) **الكتاب:** ٢/١٨٢-١٨٣، وانظر **شرح الكافية:** ١/١٣٢، **وتسهيل الفوائد:** ١٧٩

(٢) هو أبو عبد الرحمن، أحمد البصريّ الفرهوديّ الأزديّ، له الغاية في استخراج مسائل النّحو، أخذ عنه سيبويه، توفّي ١٦٠هـ. انظر ترجمته في **نزهة الألباء:** ٤٥، **إنباه الرّواة:** ١/٣٤١، **الفهرست:** ٤٢، **المزهر** للسّيوطيّ: ٢/٤٠١

(٣) **الكتاب:** ١٨٣، وانظر **المقتضب:** ٢/٣١٨، **الأصول في النّحو:** ١/٣٧٠

(٤) **الكتاب:** ٢/٢٢٩-٢٣٠

- (أ) النداء باستخدام الأداة:

لم ترد في السّورة من أدوات النّداء إلّا (يا)، وقد تحدّث المالقيّ عن وظيفتها بقوله: "اعلم أنّ (يا) حرف من حروف التّنبيه ينادى بـــه مرّة ولا ينادى به أخرى. وإذا كان حرف نداء فيكـــون تـــارة لنـــداء القريب والوسط والبعيد مسافة وحكماً كالنّائم والغافل"(١).

وكأنّه يميل إلى أنّها الأداة الّتي ينادى بها للبعيد؛ إذ يقول: "وحقّـــها في الأصل أن تكون للبعيد لجواز مدّ الصّوت بالألف ما شئت، ثمّ إنّها كـثر استعمالها حتّى صارت ينادى بها البعيد أدنى مسافة منك ثم الحاضر معـــك فلذلك كانت أمّ حروف النّداء"(٢). واشهر أدواته في نظر النّحاة(٣). وهـــي أكثر حروف النّداء استعمالاً، ولهذا لا يقدّر عند الحذف سواها، ولا ينـــادى اسم الله عزّ وجل والاسم المستغاث وأيّها وأيّتها إلّا بها(٤).

ومن أمثلة ذلك سواء أكانت (يا) للقريب أو البعيد قول الشّاعر(٥):

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ
أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأَبَدِ

وقول الشّاعر:(٦)

بَانَتْ لِتَحزنَنَا عفَارَه * يَا جَارَتَا مَا أَنْت جَارَه

وبناء على أحوال (يا) مع المنادى بها جاءت في سورة النّســـاء، وكان المنادى معها هو: (النّاس) و (الّذين آمنوا) و (أهل الكتاب)، فـــي ثلاثة عشر موضعًا. بالأنماط التّالية:

---

(١) رصف المباني: ٥١٣

(٢) المصدر نفسه: ٥١٣

(٣) انظر المقرّب: ١/١٧٥، حروف المعاني: ١٩، شرح المفصّل: ٨/١١٨، المغنى: ١/ ٤١٣

(٤) انظر مغنى اللّبيب: ٤١٣

(٥) ديوان النّابغة الذّبيانيّ: ٩

(٦) البيت للأعشى، انظر ديوانه: ٢٠، وهو في المقرّب: ١/١٦٥، وشذور الذّهب: ٢٥٧ والأشـــمونيّ: ٢٥٢، وابن يعيش: ٣٠/٢٢ والخزانة: ٣/٣٠٨

- **النّمط الأوّل: يا + المنادى (معرّف بأل) + فعل (أمر):**

وذلك في قوله تعالى:

- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (١).
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾ (٢).
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (٣).

- **النّمط الثّاني: يا + المنادى (معرف بالإضافة) + أداة نهي + جملة فعليّة:**

جاء ذلك في قوله تعالى:

- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (٤).

- **النّمط الثّالث: يا + المنادى (اسم موصول) + أداة نهي + جملة فعليّة:**

وقد جاء من ذلك النمط قوله تعالى:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ (٥).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ (٦).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ (٧).

- **النّمط الرّابع: يا + المنادى (اسم موصول) + جملة فعليّة:**

كما في قوله تعالى:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (٨).

---

(١) سورة النّساء: الآية (١)
(٢) سورة النّساء: الآية (١٧٠)
(٣) سورة النّساء: الآية (١٧٤)
(٤) سورة النّساء: الآية (١٧١)
(٥) سورة النّساء: الآية (١٩)
(٦) سورة النّساء: الآية (٢٩)
(٧) سورة النّساء: الآية (١٤٤)
(٨) سورة النّساء: الآية (٥٩)

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (١).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ (٢).

- **النّمط الخامس: يا + المنادى (اسم موصول) + جملة اسميّة منسوخة**

وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ (٣).

- **(ب) النّداء بغير أداة:**

يقع النّداء بغير أداة. ويجوز حذف أداة النّداء اختصاراً (٤).

وأكثر ما يقدّر عند الحذف الأداة (يا) ولا يقدّر غيرها من أخواتها.

جاء النّداء بأداة محذوفة قليلاً جدّاً في سورة النّساء، ولعلّ ذلك يعود إلى مقتضى الحال؛ إذ إنّ المقام يقتضي ذلك.

ففي مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ (٥). يرى الباحث أنّ حذف الأداة هنا أدّى إلى تقوية المعنى أكثر من إثباتها؛ لأنّ الحذف عمل على إخراج المعنى من حيّز النّداء إلى الاختصاص. والمخصّص أعمّ وأشمل من المنادى، وبذا يتحقّق نقل مراد الله عزّ وجلّ إلى المخاطبين.

وقد حذفت (يا) النّداء في آيتين من سورة النّساء. في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ

---

(١) سورة النّساء: الآية (١٣٥)

(٢) سورة النّساء: الآية (١٣٦)

(٣) سورة النّساء: الآية (١٣٥)

(٤) انظر **مغنى اللّبيب**: ٦٤١/٢، و**همع الهوامع**: ٤٣/٣

(٥) سورة النّساء: الآية (١٣٣)

وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ (١). إذ التّقدير في غير القرآن الكريم: الّذين يقولون يا ربّنا.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ (٢)، إذ التّقدير: "وقالوا يا ربّنا".

ممّا تقدّم نخلص إلى أنّ النّداء يقع بأداة وبغير أداة، وأنّ الأداة (يا) هي أمّ الباب في النّداء، وهي الأكثر ورودًا في سورة النّساء. هذا، وقد يلي (ياء) النّداء ما ليس بمنادى، مثل قول الشّاعر (٣):

أَلَا يَا اسْقِيَانِي بَعْدَ غَارَةِ سِنْجَالٍ

وَقَبْلَ مَنَايَا فَادِيَاتٍ وَآجَالِ

وممّا ليس بمنادى أيضًا الحرف (ليت)، كما في قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٤).

o المطلب الخامس: جملة النّهي:

النّهي هو طلب الكف عن العمل، أو عن فعل شيء (٥). وغير هذا المعنى الأساسيّ، فإنّ دلالة النّهي تتوقّف على القرينة (٦).

وللنّهي حرف واحد، هو (لا) الجازمة في مثل قولك: لا تفعل (٧). وهي تختصّ بالفعل المضارع؛ إذ تدخل عليه وتخلّصه للاستقبال (٨).

---

(١) سورة النساء: الآية (٧٥)

(٢) سورة النساء: الآية (٧٧)

(٣) البيت للشماخ. انظر **شرح المفصل**: ١١٥/٨. آجال: جمع أجل

(٤) سورة النساء: الآية (٧٣)

(٥) انظر **شرح الكافية**: ٢٥٢/٢

(٦) انظر **الإيضاح في علوم البلاغة**: ٢٤٤/١

(٧) انظر **مفتاح العلوم**: ٣٢٠، **التلخيص**: ١٧٠، **المقتضب**: ١٣٤/٢

(٨) **حروف المعاني**: ٨، **رصف المباني**: ٣٣٩، **مغنى اللبيب**: ٢٧١

ويرى الباحث أنّه بهذا المعنى، تكون صالحة لتقع على فعل الشّاهد لا الغائب؛ إذ لا يتصوّر أن ننهي غائبًا؛ فينزجر ويكفّ عن الفعل وهو لم يكن حاضرًا وقت النّهي.

ويرى الإمام السّكّاكي أنّ النّهي حقّه الفور، والتّراخي يوقف على قرائن الأحوال(١). وهو مثل الأمر تمامًا، لكنّ استدعاء تعجيل المطلوب أظهر منه في عدم الاستدعاء له.

وردت (لا) النّاهية في سورة النّساء، وفي أكثر صورها كانت على نمط واحد:

لا النّاهية + فعل (مضارع) + فاعل (مضمر) + مفعول:

ونرى هذا النّمط في قوله تعالى:

- ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ (٢).
- ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ (٣).
- ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (٤).
- ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾ (٥).

o المطلب السّادس: جملة التّمنّي:

للتّمنّي كلمة واحدة هي (ليت). وهي عند ابن هشام "حرف تمنّ يتعلّق بالمستحيل غالبًا"، كقول الشّاعر(٦):

فَيَا لَيْتَ الشَّبَابُ يَعُودُ يَوْمًا * فَأُخْبِرَه بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ(٧)

---

(١) مفتاح العلوم: ٣٢٠

(٢) سورة النّساء: الآية (٢)

(٣) سورة النّساء: الآية (١٩)

(٤) سورة النّساء: الآية (٣٢)

(٥) سورة النّساء: الآية (١٣٥)

(٦) هو اسماعيل بن القاسم ويكنى أبا إسحاق، وأبو العتاهية لقبه، رمي بالزّندقة، وهو أحد المطبوعين، ويكاد كلامه يكون شعرًا كله. كان سريعا في نظم الشعر وهو سهل عليه. توفّى عام ٢٠٥هـ. انظر **الشّعر والشّعراء**: ٥٣٤

(٧) البيت في ديوانه: ٢٣، انظر **مغنى اللّبيب**: ٣١٦/١

ويرى السّكّاكيّ كأنّ "الحروف المسمّاة بحروف التّنديم والتّحضيض، وهي: هلا، وألا، ولولا، ولوما، مأخوذة منها مركّبة مع لا وما المزيدتين، مطلوباً بالتزام التّركيب التّنبيه على إلزام: هل، ولو، معنى التّمنّي- فإذا قيل: هلاّ أكرمت زيداً، أو ألا بقلب الهاء همزة، أو لولا، أو لوما، فكان المعنى: ليتك أكرمت زيداً، متولّداً منه معنى التّنديم، وإذ قيل: هلاّ تكرم زيداً، أو لولا، فكان المعنى: ليتك تكرمه، متولّداً منه معنى السّؤال"(١).

ويرى الباحث أنّ (لَيْتَ) تتداخل مع حروف التّنديم والتّحضيض؛ فيحدث نوع من الإحلال بين (ليت) وتلك الحروف في المعنى:

فإذا قلنا: هلاّ أكرمت زيداً، كانت الجملة قد وضعت في أسلوب التّحضيض وأفادت التّمنّي، ومنه يتولّد معنى التّنديم.

وإن قلنا: هلاّ تكرم زيداً، كانت الجملة قد وضعت في أسلوب التّنديم، وأفادت التّمنّي ومنه يتولّد معنى السّؤال.

وقد ورد التّمنّي بالحرف (لَيْتَ) في آية واحدة في سورة النّساء، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٢).

---

(١) مفتاح العلوم: ٣٠٧

(٢) سورة النّساء: الآية (٧٣)

المبحث الثّاني

الجملة الإنشائيّة غير الطّلبيّة

لم ينل هذا الضّرب من الإنشاء اهتمام البلاغيّين، ولم تتوقّف مصادر البلاغة عنده طويلاً. فالسّكّاكيّ -مثلاً- نجده قد ميّز بين نوعين من الطّلب: الإنشاء الطّلبيّ والإنشاء غير الطّلبيّ؛ ففي الوقت الّذي عقد فيه بابًا عالج فيه أنواع الأوّل؛ نجده قد ضرب صفحًا عن الإنشاء غير الطّلبيّ.

أمّا الخطيب القزوينيّ، فلم يتحدّث عنه البتّة[١].؛ سواء في (التّلخيص) أو (المفتاح).

أمّا النّحاة فقد شغلهم الإنشاء غير الطّلبيّ، وتساءلوا عن أنواعه: أهي من باب الخبر أم من باب الإنشاء"[٢]؟

ويبدو أنّ أكثرهم قد مال إلى الرّأي الّذي ذهب إلى أنّ أنواع هذا الضّرب قد نُقلت من معنى الخبر إلى معنى الإنشاء، وذلك بناء على الفهم الّذي توحي به دلالة الإنشاء غير الطّلبيّ في السّياق.

وفي السّورة هذه، والّتي ينظر الباحث في تركيبها النّحويّ؛ نجد أنّ أنواع الإنشاء غير الطّلبيّ فيها، قد تمثّلت في ثلاث جمل هي:

- جملة التّعجّب.
- جملة المدح والذّمّ.
- جملة القسم

وكلّ جملة منها سوف يتمّ عرضها من خلال مطلب مستقلّ. وذلك على النّحو التّالي:

---

(١) انظر التّلخيص: ١٥١

(٢) انظر شرح الكافية: ٢٧٦/٢

○ المطلب الأوّل: جملة التّعجّب:

عرّف التّعجّب بأنّه: "انفعال النّفس ودهشتها عند الشّعور بـأمر خَفِـيَ سببه"(١).

ويعدّ التّعجّب من أكثر أبواب النّحـو الّتـي شـغلت النّحـاة: قدمـاء ومحدّثين(٢) -على السّواء- فأمثلة التّعجّب قليلة في مظانّ النّحو، لا توازي ما ورد عنه من آراء وأقوال.

ومع ذلك ظلّ التّعجّب -على مرّ عصور النّحـو- محـلّ نظـر مـن علمائه- ولعلّ من الصُّدف الحميدة، أن يكون التّعجّب ذاته هو الدّافع لوضـع علم النّحو العربيّ(٣).

وقد تحدّث سيبويه عن التّعجّب؛ متناولاً له في باب "ما يعمـل عمـل الفعل ولم يجر مجرى الفعل" فقال: "وذلك قولك: ما أحْسَنَ عبـد الله. زعـم الخليل أنّه بمنزلة قولك: شيء أحسن عبد الله، ودخله معنى التّعجّـب. وهـذا تمثيل ولم يتكلّم به"(٤).

وبناء على نظرة سيبويه هذه في التّعجّب ومعناه، سـارت الدّراسـات التي تلته. فالمبرّد نظر التّعجّب في باب(٥) مستقلّة، وبدا له التّعجّب بالمحدّدات الآتية:

- ١/ أنّه من قبيل الفعل الّذي يتعدّى إلى مفعول، وفاعله مبهم.
- ٢/ أنّه لا يتصرّف تصرّف غيره من الأفعال.

---

(١) النّحو الأساسيّ: ٤٨٤

(٢) انظر: **العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث:** ٩٩

(٣) يشير الباحث هنا إلى موقف أبي الأسود مع ابنته، إذ قالت له: ما أحسنُ السّماء، فقال لها: نجومُـها. فقالت: إنّي لم أرد هذا، وإنّما تعجّبت من حسنها. فقال لها: إذن قولي: ما أحسنَ السّـماء، فحينئـذٍ وضع النّحو، وأوّل ما رسم منه باب التّعجّب. انظر **نشـأة النّحـو:** ١٣٢، **نزهـة الألبـاء:** ٢١. وللوقوف على آراء أخرى كانت سبباً في وضع النّحو. انظر **معجم الأدباء:** ٣٤/٦-٣٨

(٤) **الكتاب:** ٧٢/١

(٥) انظر **المقتضب:** ١٧٣/٤

٣/ أنّه يلزم طريقة واحدة لأنّ المعنى لزمه على ذلك.

وبناء على هذه المحدّدات الّتي رآها الباحث في كلام المبرّد؛ فقد جاءت أمثلة الأخير مطابقة لسيبويه: "وذلك قولك: ما أحسن زيداً، وما أكرم عبد الله"(١).

وجاء ابن جنّى؛ فصرّح بصيغ التّعجّب، إذ قال: "ولفظه يأتي على ضربين: أحدهما ما أفعله والآخر أفعل به"(٢).

وعلى نسق هذه الآراء الثّلاثة: رأى سيبويه، والمبرّد، وابن جنّى؛ تحدّث النّحاة السّابقون عن التّعجّب. ولهم فيه أقوال كثيرة: في صيغ إعرابه، وفي (ما) التّعجّبيّة ودلالتها، وفي شرط الفعل الّذي يصاغ منه التّعجّب.

ويرى الباحث أنّ كلّ هذا النّشاط العلميّ؛ لم يخرج من إطار العبارة الأولى الّتي قال بها سيبويه، نقلاً عن الخليل: "أنّه بمنزلة قولك: شيء أحسن عبد الله، ودخله معنى التّعجّب، وهذا تمثيل، ولم يتكلّم به"(٣).

وشكّل التّعجّب، في العصر الحديث مصدراً لبحوث أتت خدمةً للظّرف الّذي تنادت فيه الأصوات بضرورة تيسير النّحو العربيّ، وانعقدت لأجله النّدوات والمؤتمرات.

وخرج الرّأي من مجمع اللّغة العربيّة(٤) إلى اعتماد التّعجّب أسلوباً للتّعبير فقط، ولا داعي لشغل طلاّب العلم بوجوه إعرابه وتفصيلات جاءت في ذلك ولا نهاية لها.

وفي سبيل التّبسيط وتقريب الفهم جمع تمّام حسّان(٥) التّعجّب إلى موضوعات أخرى تحت عنوان: "الخوالف"، وقال إنّها "كلمات تستعمل في

---

(١) المقتضب: ١٧٣/٤

(٢) اللّمع في العربيّة: ٢/٧

(٣) الكتاب: ٧٢/١

(٤) هو مجمع اللّغة العربيّة في القاهرة

(٥) هو د. تمّام حسّان عمر، ولد بقرية الكرنك، من أعمال محافظة قنا عام ١٩١٨م. حفظ القرآن الكريم في الصّغر، وتخرّج في كليّة دار العلوم عام ١٩٤٣م. حصل على الدّكتوراه عام ١٩٥٢م. له نشاطات علميّة كثيرة، وله مؤلّفات لعلّ أهمّها كتابه: اللّغة العربيّة معناها ومبناها. انظر: المجمعيّون في خمسين عاماً: ٩١

أساليب إفصاحيّة حيّة، أي في الأساليب الّتي تستعمل للكشف عن موقف انفعاليّ ما"[١].

وساق نظرة جديدة مفادها أنّ صيغة التّعجّب - في حدّ ذاتها - صيغة تفصيل، ولكنّها صيغت في تركيب جديد بمعنى التّعجّب.

ويجد الباحث نفسه على خلاف مع تمّام حسّان في نظرته هذه؛ لأنّ صيغة التّعجّب من قبيل الفعل الّذي يتعدّى إلى مفعوله؛ أمّا صيغة التّفضيل فتعمل الرّفع في الضّمائر المستترة، كقولنا: العلم أشرف من المال. بتقدير (هو) بعد اسم التّفضيل (أشرف)، وتعمل النّصب على التّمييز، كقولنا: العمل بالقرآن أكثر ثواباً من مجرّد تلاوته. وتعمل الجرّ في المفضول إذا كان مضافاً إليه نحو قولنا: الصّلاة أعظم عبادة في الإسلام. وعلى هذا تتجدّد وظيفة التّفضيل بناء على تجدّد المعمول، ووضعه في الجملة.

وهذا ما لا نلمسه في صيغة التّعجّب؛ فضلاً عن أنّ دلالة التّعجّب تقع بعيداً عن دلالة التّفضيل. فقد أتعجّب من أحد ما، وقد فعل فعلاً، دون النّظر إلى مستوى فعله إلى جانب الآخرين.

ويرى إبراهيم السّامرائي أنّ التّعجّب أسلوب من الأساليب مثل التّمنّي والتّرجّي والدّعاء وغيرها، ولا يمكن أن تفسّر هذه الأساليب بجمل خبريّة. وعلى هذا لا يمكن أن تكون جملة "شيء أحسن زيداً" الّتي نسبت إلى الخليل تفسيراً لجملة التّعجّب الإنشائيّة: ما أحسن زيداً[٢].

وعلى الرّغم من أنّ جملة التّعجّب قد حرّكت ساكن النّحاة - قديماً وحديثاً - إلاّ أنّها ما زالت في حاجة إلى بحث يستكمل جوانبها.

ويجب ألاّ يفتّ في عَضُدِ الباحثين اليوم قلّة شواهد هذه الجملة في القرآن الكريم، وأنّ ما جاء منها، جاء على صيغة (ما أفعل) فقط[٣]. ولا أن

---

(١) **اللّغة العربيّة معناها ومبناها**: ١١٣

(٢) **النّحو العربيّ** نقد وبناء، د. إبراهيم السّامرائي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م: ١٠٦

(٣) انظر **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**. محمّد فؤاد عبد الباقي

تَضْعُف الهمّة لكون الحديث الشّريف؛ لم ترد فيه إلاّ الصّيغة ذاتها، وفي مواضع محدودة منه[١].

ويجب ألاّ تزعجنا كذلك تلك الدّراسة الّتي أجرتها المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم[٢]، على مجموعة مختارة من نصوص الأدب العربيّ المعاصر. وتبيّن أنّ صيغة التّعجّب الواردة في تلك النّصوص هي (ما أفعل) فقط، ومع ذلك فهي نادرة جدّاً.

والّذي يودّ أن يقوله الباحث هنا؛ هو أنّ جملة التّعجّب لها صيغ معلومة، سواء أكان التّعجّب قياسيّاً أو سماعيّاً. وسيأتي تفصيل لهذين الأسلوبين، ثمّ يتمّ - من بعد ذلك - نظرها في سورة النّساء.

- **(أ) التّعجّب القياسيّ:**

يُؤدّى هذا التّعجّب بصيغتين هما: (ما أَفْعَلَهُ) نحو قولنا: "ما أعظمَ الخالق!"، و (أَفْعِلْ به)، كقولنا: "أحْسِنْ بالوفاء خُلُقاً!".

وهذا التّعجّب لم يردّ - بأيّ من صيغتيه المذكورتين - في سورة النّساء.

- **(ب) التّعجّب السّماعيّ:**

يعدّ هذا الأسلوب الأكثر شيوعاً في الكلام العربيّ، إذ نُظر إليه مقارنة بالتّعجّب القياسيّ.

والتّعجّب السّماعيّ عند سيبويه هو "ما جاء وفيه معنى التّعجّب كقولك: يا لك فارساً"[٣]. ويقول في موضع آخر، مُتمثّلاً له: "كما تقول ما رأيت كاليوم رجلاً، فلكاليوم كقولك في اليوم، لأنّ الكاف ليست باسْمْ، وفيه معنى التّعجّب، كما تقول: تالله رجلاً، وسبحان الله رجلاً[٤].

---

(١) انظر **فتح الباري**: ٢/٢٩٣، وانظر **صحيح مسلم**: ١/١٦٦

(٢) انظر تطوير **أساليب القواعد والتّعبير في التّعليم العام في أقطار الوطن العربيّ**، المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٣م: ٥١٦

(٣) **الكتاب**: ٢/٣٣٧-٣٣٨

(٤) **الكتاب**: ٢/٢٩٣

وهذا يدلّ على أنّ التّعجّب السّماعي إنّما يقوم على أساليب كانت تستعمل، في الأصل، لغير التّعجّب مثل (كيف) و (سبحان الله) و (لله درّ فلان) و (لله أنت من رجل) و (يا لك من أستاذ) و (الله أكبر).

والأخيرة هذه، (الله أكبر) قد أخذت حظّها من الشّيوع والانتشار عندنا في السّودان، في ظلّ ثورة التّأصيل وتحكيم القرآن: قولاً ومنهجاً. فكلّ مَنْ نقل إليك نبأ: استبشرت به واستحسنته، بادرْت، فأعلنت إعجابك؛ فكبّرت: (الله أكبر).

ومن عجب أنّ التّعجّب السّماعيّ له شواهد في التّنزيل، والحديث النّبويّ، والشّعر العربيّ أكثر من التّعجّب القياسيّ.

- <u>ففي القرآن الكريم:</u>

ومن خلال نظر الباحث في السّياق النّحويّ لسورة النّساء -وحدها- بدا له أنّ التّعجّب السّماعيّ، قد جاء بصيغة (كيف)، وهي - وإن كانت للاستفهام- إلاّ أننا نجدها قد خرجت من هذا المقتضى لتكون للتّعجّب. وجاء ذلك في أربعة مواضع -لا تزيد- من خلال نمطين:

- **<u>النّمط الأوّل: كيف + فعل (مضارع) + فاعل + مفعول:</u>**

جاء ذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾(١).
- ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾(٢).

---

(١) سورة النّساء: الآية (٢١)

(٢) سورة النّساء: الآية (٥٠)

- **النّمط الثّاني: كيف + إذا (الظّرفيّة) + فعـــل (مـــاضي) + فـــاعل + مفعول:**

جاء هذا النّمط في قوله تعالى:

- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاءِ شَهِيدًا﴾(١).

- ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (٢).

- **وفي الحديث الشّريف:**

وردت أحاديث تفيد معنى التّعجّب، منها:

(أ) عن أبي هريرة ﷺ أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لَقِيَه في بعض طريق المدينة وهو جُنُبٌ، فانخنس منه(٣)، فاغتسل ثمّ جاء، فقال: **"أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ" قَالَ: كُنْتُ جُنُبًا فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ، فَقَالَ: "سُبْحَانَ اللهِ إِنَّ الْمُسْلِمَ لاَ يَنْجَسُ"**(٤).

قال الإمام ابن حجر(٥) في شرح الحديث: **"وقوله سبحانه الله تعجّب من اعتقاد أبي هريرة النّجس بالجنابة"**(٦).

(ب) **".. . فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ، الَّذِي قُلْتَ إِنَّه مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالاً شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ.. . فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ إِنَّه لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحاً شَدِيدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ**

---

(١) سورة النّساء: الآية (٤١)

(٢) سورة النّساء: الآية (٦٢)

(٣) يعني: مضى مستخفياً

(٤) **فتح الباري:** ٥٩٩/١٠، **وصحيح مسلم:** ٢٨٢/١

(٥) هو أحمد بن علي المعروف بابن حجر. ولد عام ٧٧٣هـ. ارتحل لطلب العلم. له مصنّفات تزيد على ١٥٠ مصنّفاً. انظر **كتاب تهذيب التّهذيب:** دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م: ١٣/١

(٦) **فتح الباري:** ٣٩١/١

اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ"[١].

فجملة (الله أكبر) هنا تفيد معنى التّعجّب، وهي قد أفادت -إلى حدّ بعيد- إظهار السّعادة عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ من تصديق الواقع لأمر الله تعالى، ولما أنبأ به من الحال الّتي سيؤول إليها ذلك الرّجل.

- **أمّا في الشّعر العربيّ:**

فهي كثيرة، منها قول الأحوص بن شريح الكلابيّ[٢]:

تمنّاني ليلقاني لقيط

أعام لك بن صَعصعة بن سَعْد

الشّاهد في قول (لَكَ) أي دعائي لك. والمعنى يفيد التّعجّب. أي يا هذا دعائي له من فارس، أي أعجب لك في هذه الحال.

o المطلب الثّاني: جملة المدح والذّم:

تحدّث سيبويه عن جملة المدح والذّم في باب: "ما لا يعمل من المعروف إلاّ مضمراً"، حيث قال: "وأمّا قولهم: نعم الرّجل عبد الله، فهو بمنزلة أخوه عبدُ الله، عمل نعم في الرّجل ولم يعمل في "عبد الله". وإذا قال: عبد الله نعم الرّجل، فهو بمنزلة عبد الله ذهب أخوه، كأنّه قال: نعم الرّجل، فقيل له مَنْ هو؟ فقال: عبد الله. وإذا قال عبد الله، فكأنّه قيل له: ما شأنه؟ فقال: نعم الرّجل"[٣].

---

(١) فتح الباري: ١٧٩/٦، صحيح مسلم: ١٠٥/١

(٢) انظر البيت في الكتاب: ٣٣٧/٢

(٣) الكتاب: ١٧٧/٢

وبهذا يكون سيبويه قد تخطّى مرحلة التّعريف بجملة المدح والذّمّ إلى كيفيّة صياغتها، وأشار إلى الدّلالة الّتي تستفاد منها.

وتقوم جملة المدح والذّمّ على أساليب أربعة، أو قُلْ أسلوبين وضدّهما[١]. وهذه الأساليب مع أمثلتها هي:

١/ نِعْمَ ٢/ بِئْسَ

٣/ حبّذا ٤/ لا حبّذا

- ١/ نِعْمَ: نحو قوله تعالى: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[٢].
- ٢/ بِئْس: كما في قوله تعالى: ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٣].
- ٣/ حبّذا: كقولنا: حبّذا شكر النّعمة، وحبّذا الصّبر على المصيبة.
- ٤/ لا حبّذا: كقولنا: لا حبّذا كفران النّعمة، ولا حبّذا الجزع من المصيبة.

وتركّز حديث النّحاة حول (نِعْم) و (بِئْس)، باعتبارهما الأساس في جملة المدح والذّمّ.

فهذا المبرّد قد تحدّث عن حكمهما، فقال: "أمّا نِعْم وبِئْس فلا يقعان إلاّ على مضمر يُفسّره ما بعده والتّفسير لازم، أو مَعْرِفة بالألف واللاّم على معنى الجنس ثمّ يذكر بعدها المحمود والمذموم"[٤].

وقد يثار سؤال: هل (نعم) و (بئس) فعلان؟ ويأتي الجواب أنّ فريقاً من النّحاة؛ يرى أنّهما ليسا بفعلين، لعدم اقترانهما بزمان.

---

(١) انظر: العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث: ١٠٢

(٢) سورة الأنفال: الآية (٤٠)

(٣) سورة النّحل: الآية (٢٩)

(٤) المقتضب: ٢/١٤٠- ١٤١، وانظر اللّمع: ٢٢١، شرح الكافية: ٢/٣١١، تسهيل الفوائد: ١٢٦، الأصول: ١/١٧٧، أمالي ابن الشّجريّ: ٢/ ١٥٧

ومن هؤلاء الفرّاء؛ إذ يقول: "والعرب توحّد نِعْمَ وبِئْسَ، وإنْ كانتا بعد الأسماء، فيقولون: أمّا قومك فتَعِمُوا قوماً، ونِعْم قوماً. وكذلك بئس. وإنّما جاز توحيدها لأنّهما ليستا بفعل يلتمس معناه، وإنّما أدخلوهما لتدلاّ على المدح والذّمّ، ألا ترى أنّ لفظهما لفظ فَعَلَ، وليس معناهما كذلك وأنّه لا يقال منهما ييأس الرّجل زيد، ولا ينعم الرّجل أخوك"(١).

والرّاجح عندي أنّهما على غير لفظ (فَعَلَ)، وإلاّ تصرّفا تصرّفه، لأنّ لفظهما موضوع على وزن (فِعْلَ)، وهما أقرب إلى مكسور الفاء ساكن العين من الأسماء(٢)، وبذات الوزن من الصّفات(٣)؛ لولا البناء على الفتح الّذي لازم كلاًّ من (نِعْمَ) و (بِئْسَ).

وإنْ صحّ زَعْمُ الباحث هذا فإنّ (نِعْمَ) و (بِئْسَ) وإنْ قاربا لفظ (فِعْل)؛ فهما من ناحية يصحّ فيهما إلصاق (تاء) التّأنيث بهما، كقولنا: (نَعِمَتْ المرأة هِنْد) و (بئست المرأة دَعْد).

وممّا يلحق بهذا الباب؛ هو أنّ المخصوص بالمدح أو الذّمّ؛ يمكن أن يُقدّم، ويمكن أن يُحذف إنْ دلّ عليه دليل:

- فمن حيث التّقديم؛ يصحّ فيه:

(أ) أبو هريرة نِعْمَ الرّاوي.

(ب)الغيبة بئس خُلُقاً.

- ومن حيث حذف المخصوص:

(أ) قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾(٤).

---

(١) **معاني القرآن**، للفرّاء، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م: ١٤١/٢

(٢) من الأسماء نحو: جِذْع وحِمْل. انظر الصّرف الوافي، د. هادي نَهْر، دار الأمل للنّشر والتّوزيع، الأردن، ١٩٩٨م: ٤٣

(٣) من الصّفات نحو: جِلف ونِكس، والنِّكْس: الجبال. انظر **المرجع نفسه**: ٤٣

(٤) سورة ص: الآية (٤٤)

(ب) وقوله جل وعلا: ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[١]. أي بئس الحميم الشّراب.

(ج) وقولنا: أُحِبُّ النَّحْو، ونِعْم العِلْم.

أي: نِعْم النَّحْو العِلْم.

وفي التّركيب النّحويّ لم ترد جملة المدح والذّمّ، إلّا في وضع واحد، على صيغة (نعم). وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٢].

ونلحظ أنّ (نعم) و (ما) قد جاءت منهما (نِعِمَّا). ومعنى (ما) هنا (الشّيء) أو (العمل) كأنّه قال، وهو يشير إلى أداء الأمانة، و (الحكم بالعدل) نعم الشّيء يعظكم به، أو نعم العمل يعظكم به.

وقد جاءت (نعم) و (نِعِمَّا) في الأحاديث النّبويّة الشّريفة. من ذلك قوله صلى الله عليه وسلّم:

- "**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**"[٣].
- "**نِعْمَ الأَدَمُ الخَلُّ، نِعْمَ الأَدَمُ الخَلُّ**"[٤].
- "**نِعِمَّا لِأَحَدِهِم يَحْسُنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَيَنْصَحُ لِسَيِّدِهِ**"[٥].
- "**نِعِمَّا لِلمَمْلُوكِ أَنْ يُتَوَفَّى يَحْسُنُ عِبَادَةَ اللهِ**"[٦].

---

(١) سورة الكهف: الآية (٢٩)

(٢) سورة النّساء: الآية (٥٨)

(٣) وعبد الله المتحدّث عنه، هو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. "فكان بعد لا ينام من اللّيل إلّا قليلا". انظر **فتح الباري**: ٦/٣، **مسلم**: ١٩٢٨/٤

(٤) **صحيح مسلم**: ١٣٢١/٣

(٥) **فتح الباري**: ١٧٥/٥

(٦) **صحيح مسلم**: ١٢٨٥/٣

ويرى ابن مالك: أنّ (ما) في (نعم) معرفة تامّة، وفاقاً لسيبويه والكسائيّ، لا موصولة خلافاً للفرّاء والفارسيّ، وليست بنكرة خلافاً للزّمخشريّ والفارسيّ في أحد قولين"(١).

والرّأي عندي: أنّ (ما) إن كانت نكرة مميّزة، فلا تكون -بأيّة حال- موصولة، لأنّ الموصولات الاسميّة -عدا (ال) مع اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة - لا تتّصل مع ما قبلها ولا مع ما بعدها، ما عدا (ما) هذه، فقد تتّصل مع (مِنْ) الجارّة؛ كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾(٢).

وبهذا تستبعد (ما) المتّصلة بـ (نعم) أن تكون معرفة تامّة، لأنّ ما يقدّر مكانها إذا انفصلت عن (نعم) هو المعرفة، كما ذكر الباحث -في غير هذا الموضع- وكان التّقدير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ (٣). إنّ الله نعم الشّيء - أو نعم العمل - يعظكم به.

o المطلب الثّالث: جملة القسم:

عرف النّحاة القسم بأنّه يمين يحلف بها الحالف ليؤكّد بها شيئاً يخبر عنه من إيجاب أو جحد، وهو جملة يؤكّد بها جملة أخرى، فالجملة المؤكّدة هي المقسم عليه، والجملة المؤكّدة هي القسم، والاسم الّذي يدخل عليه حرف القسم هو المقسم به"(٤).

وهذا يعني أنّ جملة القسم إنّما تقوم على ثلاثة أركان. ففي مثل قولك: "أحلف بالله إنّ زيداً قائم"؛ تكون الأركان في هذه الجملة، على النّحو الآتي:

---

(١) انظر: شرح ابن عقيل: ١٦٦/٢

(٢) سورة يس: الآية (٧١)

(٣) سورة النّساء: الآية (٥٨)

(٤) انظر **المخصص**، ابن سيده، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م: ١١٠/٤

- جملة مؤكّدة؛ وهي قولك: "إنّ زيداً قائم".
- جملة مؤكّدة؛ ففي مثل قولك: "أحلف بالله".
- مقسم به؛ وهو اسم الله عزّ وجل.

فالجملة المؤكّدة: تعرف بأنّها الجملة المؤكّدة للجملة الّتي بعدها(١). والجملة المؤكّدة: هي الجملة المقسم عليها، وتعرف بالجملة الّتي تلي القسم، وتسمّى مثل هذه الجملة جملة جواب القسم(٢). أمّا المقسم به؛ فهو كلّ اسم من أسماء الله تعالى، وصفاته، ونحو ذلك ممّا يعظم به. نحو قول الشّاعر(٣):

فَأَقْسَمْتُ بِالبَيْتِ الّذِي طَافَ حَوْلَهُ
رِجَالٌ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمُ

وكما للقسم أركان؛ فإنّ الجملة القسميّة لا تؤدّى إلّا من خلال حروف خاصّة، تعمل على ربط أركان الجملة القسميّة مع بعضها البعض وتستعمل هذه الحروف لتوصيل الفعل القاصر(٤).

وأحرف القسم عند النّحاة أربعة(٥)، وزاد بعضهم فجعلها خمسة(٦)؛ وهي:

١/ الواو(٧) ٢/ الباء(٨)
٣/ التّاء(٩) ٤/ اللّام(١٠) ٥/ من(١١)

---

(١) انظر **الكتاب**: ١٠٤/٣، وانظر **شرح المفصّل**: ٣٢/١
(٢) انظر **الكتاب**: ١٠٤/٣، **المقتضب**: ٣١٨/٢، شرح المفصّل: ٩٠/٣
(٣) البيت لزهير. انظر **الكتاب**: ١٠٤/٣، **وشرح المعلّقات العشر**: ٥٨
(٤) انظر **المقتضب**: ٣١٨/٢-٣٢٠
(٥) انظر **كتاب الجمل**: ٨٢
(٦) **همع الهوامع**: ١٣٨/٢
(٧) تختصّ الواو بالاسم الظّاهر نحو قوله تعالى: "والعصر إنّ الإنسان لفي خسر" العصر: (١-٢). انظر **الكتاب**: ٣٠٤/٢، **مغنى اللّبيب**: ١١٨/١
(٨) تدخل الباء على كلّ ما يراد القسم به، وتعني الإلصاق. انظر **رصف المباني**: ٢٢٤
(٩) تختصّ التّاء بلفظ الجلالة، مثل قوله تعالى: "تالله لقد آثرك الله علينا": سورة يوسف: (٩١)
(١٠) تدخل اللّام على الأسماء والأفعال. انظر: **مغني اللّبيب**: ٢١٤ ، ٢١٨
(١١) من، وقد تستعمل مضمومة نحو (مُنْ). انظر **شرح المفصّل**: ٢٢/٩

وللقسم أنواع تولّدت من مقتضى الكلام، ومن دلالاتـه؛ بُنـاء علـى المواقف الّتي تعتري النّاس، فيُعبّروا عنها؛ حتّى صار القسـم مـن الخصـائص المميّزة لحديثهم اليوميّ، الّذي يتطلّبه تدبير شئون حياتهم. ومن أنواع القسم:

- ١/ القسم الاستعطافي: وهذا الضّرب يسمّى قسم الطّلب[١]، وهو عنـد ابن يعيش وابن مالك: جملة إنشائيّة أو طلبيّة يراد بها تأكيد جملـة أخرى؛ مشتملة على ما يثير الشّعور والعاطفة[٢].
- ٢/ القسم غير الاستعطافيّ: وهو "القسم الخبريّ، جيء به لتوكيد معنى جملة خبريّة وتقوية المراد منها"[٣].

وهنالك أنواع أخرى كالقسم الصّريح وغير الصّريـح، والقسـم المضمـر وغيرها[٤].

وبعرض مقوّمات الجملة القسميّة هذه على سورة النّساء؛ بـدا لنـا أنّ القسم قد جاء فيها بأداتين فقط؛ هما: اللاّم والواو. على النّحو الآتي:

- **<u>النّمط الأوّل: القسم بلام القسم:</u>**

وجاء هذا النّمط في موضعين، وهو نوعان: الأوّل: ما دلّت عليه اللاّم، والثّاني: ما دلّ عليه المعنى أو كانت ألفاظه جارية مجرى القسم[٥]. وبيـان ذلـك على النّحو الآتي:

<u>(أ) ما دلّت عليه اللاّم المقترنة بأداة الشّرط:</u>

وتسمّى اللاّم المـوطّئة للقسم[٦]. وقد تمثّل ذلك في قولـه تعـالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٧].

---

(١) انظر **الكتاب**: ٣/١٠٤

(٢) انظر **المساعد على تسهيل الفوائد**: ٢/٣٠٢

(٣) انظر **النّحو الوافي**: ٤/٤٨٣، وانظر **النّحو الأساسيّ**: ٢٣٠

(٤) انظر **المقتضب**: ٢/٣٣٢، وانظر **معجم الخليل**، محمد مهدي علام: ١/٣١

(٥) **أساليب القسم في اللّغة العربيّة**، كاظم فتحي الرّاوي، الجامعة المستنصريّة، بغداد، ط١، ١٩٧٧م: ٣٦

(٦) **المرجع نفسه**: ٣٧

(٧) سورة النّساء: الآية (٧٣)

(ب) ما دلّت عليه اللّام المقترنة بالفعل المضارع المتّصل بنون التّوكيد:

وقد تمثّل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾(١).

في الآية الكريمة الّتي سبقت، جاء القسم في أربعة مواضع منها: (ولأضلنّهم) و (لأمنينّهم) و (لآمرنّهم)(٢). وزاد من قوّة القسم في هذه الآية وجود الفعلين: "فلييتكنّ" و "فليغيرن".

وتمثّل القسم بلام القسم في قوله تعالى: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾(٣).

- **النّمط الثّاني: القسم بواو القسم:**

لهذا النّمط عدّة تراكيب لغويّة؛ يذكر الباحث منها: (وايم الله) و (والّذي نفسي بيده) و (وربّ الكعبة) و (والّذي لا إله غيره).

فقد جاءت في سورة النّساء صيغة (فلا وربّك)، في مقام يقتضي ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٤).

وبمثلما كان القسم باللّام والواو موجودًا في القرآن الكريم؛ فهو أيضًا موجود في الحديث الشّريف؛ وهذه طائفة من الأحاديث، جاءت مشتملة على الجملة القسميّة.

- **"لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُوْمَنّ التّاسِعَ"**(٥).

---

(١) سورة النساء: الآية (١١٩)

(٢) تكررت (لآمرّنهم) مرّتين في الآية فأصبحت المواضع الّتي جاء فيها القسم أربعة

(٣) سورة النّساء: الآية (١١٨)

(٤) سورة النّساء: الآية (٦٥)

(٥) صحيح مسلم: ٧٩٨/٢

- "لَأَذُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالاً كَمَا تُذَادُ الغَرِيبَةُ مِنَ الإِبِلِ"(١).
- "وَأَيْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"(٢).
- "انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ: هُمُ الأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، هُمُ الأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ"(٣).
- "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبُ، ثُمَّ آمُرُ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنُ لَهَا، ثُمَّ آمُرُ رَجُلاً فَيَؤُمُّ النَّاسَ ثُمَّ أُخَالِفُ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقُ عَلَيْهِم بُيُوتَهُم"(٤).

ممّا تقدّم؛ فإنّ كلّ جملة تكاملت فيها الأركان الّتي أشرنا إليها، وعملت فيها الحروف الخاصّة بها؛ تسمّى جملة القسم باتّفاق النّحاة، وكذلك الجملة الّتي جاءت على شاكلتها نحو: (اقسم) و (أحلف) وغيرها.

---

(١) صحيح مسلم: ١٨٠٠/٤

(٢) فتح الباري: ٢٥٥/٥

(٣) فتح الباري: ٥٢٤/١١، صحيح مسلم: ٦٨٦/٢

(٤) صحيح مسلم: ٤٥١/١